قيمة الشهداء في الأمم

فاطمة المزروعي

أولى ديننا الحنيف قيمة عظيمة لمن يضحي بنفسه من أجل مبادئه وحماية ذاته وأهله ونصرة المظلوم ومساعدة المحتاجين والوقوف مع العدل والإنصاف، وفي دستورنا القرآن الكريم العديد من الآيات القرآنية التي لا تخفى، بل هي واضحة في حثها على الجهاد ومقاتلة المعتدين والظلمة، وفيها حث على الشهادة في سبيل الله، مثل قوله تعالى:«يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِئَتَيْنِ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّئَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ»، وغيرها كثير.

وفي سنة رسولنا الكريم محمد صلى الله عليه وسلم وردت أحاديث كثيرة تمتدح الشهادة وتوضح منزلة الشهداء الرفيعة عند الله. ودوماً تجد الأمم والشعوب تجل وتقدر وترفع قيمة من يضحي بالنفس من أجل المبادئ السامية والقيم الكبيرة، كنشر العدالة ومساعدة المحتاجين. بين يدي مقولة للمؤلف والفيزيائي بنجامين فرانكلين الذي يعد من مؤسسي الولايات المتحدة الأمريكية، قال فيها:«الشهداء هم الذين وضعوا أسس الحضارة».

وبالفعل فإن كل من يقدم روحه من أجل قضيته السامية يستحق التقدير والاحترام لأن التضحية التي أقدم عليها لا مثيل لها، وبالتالي فهو أهل للتقدير والتكريم. قدمت بلادنا شهداءها من أجل نصرة المظلوم، فلم يدفعنا للتوجه نحو اليمن إلا الوقوف مع العدل ومنع انزلاق وطن وشعب شقيق نحو مزالق الحروب الأهلية التي لا تحمد عقباها، والتي نعرف جميعنا أنها ستأكل الأخضر واليابس؛ غير أن قوى الظلام والغدر تأبى تحقيق هذا الهدف ولا تزداد إلا تجبراً، لكن قوات إعادة الأمل ورجال الإمارات . بحول الله وقوته . لهم بالمرصاد، والنصر لمن معهم الحق والمبادئ الصادقة.

كاريكاتير أعجبني

المثقفون العرب..

السيد شبل

لا نتصور أن هناك قضية تم الإفساح لها في صفحات الجرائد قدر "الثقافة والمثقفين" وأزمتهم مع مجتمعهم أو مع السلطة القائمة في بلادهم، هذا بالإضافة إلى دورهم سواء المفترض أو القائم بالفعل. ونعتقد أنه من العبث بما كان التعامل مع المثقفين ككتلة واحدة، كما أن نزع فكرة التكتل عنهم بالكلية أمر غير سليم، وإنما الأصح تقسيمهم إلى جماعات وتوجهات بناءًا على دورهم الفعال في أوطانهم، وهل هم قوة دافعة للامام أم عامل مشوش ومضلل؟. وإذا سلمنا بهذا التقسيم، يصير لكل مثقف على حده دوره الفردي ومنطلقه الذاتي وملعبه الذي يستطيع من خلاله التأثير.

الجدل القائم حول الثقافة بعيد، وليس وليد اللحظة، لدرجة أن علماء الاجتماع حين أرادوا وضع تعريف لها، أسهبوا حتى وضوعوا نحو ١٦٠ تعريفًا، ولا نظنهم قد أحاطوا بها لتشعب القضايا المتعلقة بالمسمى ولعمق غورها، ولا شك في أن الجدل الذي أحاط بالمفهوم أمتد لمن انتسبوا للاسم ونعني: المثقفين، حيث أحاط بهم قدر لا بأس به من الغموض، عززته الصورة النمطية التي انطبعت في أذهان العامة عن المثقفين، والمرتبطة بالعزلة والتكبر واحتقار الآخر والتباهي الدائم. العجيب أن قطاع كبير ممن تسموا بالمثقفين استسلموا لهذه الصورة النمطية بل واستملحوها، فاقدين بذلك جوهر دور المثقف المتصل بمجتمعه والمؤثر فيه.

إن أسوأ داء ابتلي به المثقفون العرب هو الاستعلاء، وتشوه رؤيتهم لذواتهم ولمجتمعاتهم للدرجة التي جعلتهم ينفرون منها وبالتالي لفظتهم. دور المثقف الحقيقي، أن يمثّل جوهر ومضمون بيئته الصالح حتى لو كان الظاهر منها، في فترة زمنية معينة، غير ذلك؛ بمعنى آخر: فإن وظيفته تدور حول إعادة صياغة الوعي الفطري وتقديمه لأصحابه مرة ثانية، بالإضافة إلى تدعيمه بكل ما هو مطلوب من أسانيد في حال أن تمت مواجهة هذا الوعي الفطري العادي بمؤثرات خارجية تريد تضليله أو تغييبه، وهذا يحيلنا بالضرورة لكون الفطرة هي النور الأصلي الذي يمتلكه كل فرد، والعلم: هو مقدار ما يمكنك تحصيله من هذا النور، سواءً بشكل مباشر أو عبر التلقين بوسيط، وهذه قضية شديدة الأهمية والحساسية، وقل من أعطى لها الاعتبار المطلوب.

في السنوات الأربع الماضية، وفي خضم حالة الفوران العربي، حاولت الجماهير البحث عن مثقفيها، لتهب لهم مقعد القيادة بإرادتها ومن غير التفات في الحقيقة لسعي المثقفين للحصول على هذا المنصب، إلا أن الأحداث وتعقيداتها أثبتت فشل "النخبة" المثقفة في الاضطلاع بهذا الدور، وصرنا أمام حالة انكشاف قيمي وتعري حقيقي، وظهر أغلب المنتسبين للمجتمع الثقافي كمجموعة من المرتزقة والمتفعين الذين ينافقون التيار العام، ويخوضون في السائد دون البحث عن البدائل الجادة، فزادوا من تعقد الأزمات، عوضًا عن أن يكونوا جزءًا من الحل.. تبدت انتكاسة المثقفين الحقيقية عندما عجزوا عن التفريق بين النظام والدولة، وبين الحرية والفوضى، وبين أن تكون ثائرًا تريد تحقيق الحرية والعدالة وبين أن تكون أداة ينفذ عبرها خصوم الوطن مشاريعهم وأجنداتهم. زاد من تعقيد هذه الحالة نرجسية بعض المثقفين والتي صورت لهم امتلاكهم للحقيقة كاملة، فما عادوا يقبلون نصيحة أو نقدًا. ونحن هنا حين نهاجم "المثقفين" فلا نعني عمومهم، ولكن نقصد من طغى على السطح منهم في السنوات الأربع أو الخمس الماضية.

> إن أسوأ داء ابتلي به المثقفون العرب هو الاستعلاء، وتشوه رؤيتهم لذواتهم ولمجتمعاتهم للدرجة التي جعلتهم ينفرون منها وبالتالي لفظتهم.

ختامًا، نقول، إن المثقفين، من المفترض، أن يكونوا في أي مجتمع هم الطليعة الوطنية التي تتصدر المشهد، والتي تتزعم أي حراك مجتمعي، لتحاول أن تهديه إلى رشده، وتضبط له بوصلته. وفي حال تلفت دائرة المثقفين أو هيمن الجانحون المعْوَجون عليها، ينتكس المجتمع بالضرورة، وينعزل عن التفاعل مع العالم الخارجي كوحدة واحدة، ويتقسم إلى ما يشبه الجزر المنعزلة، لأن المثقف يلعب، ضمن أدواره، دور المادة الصمغية التي تقرب وتؤلف بين الأفراد والجماعات داخل المجتمع الواحد.. وعند غياب هذه المادة، يصير التفكك واقعا حتى ولو بشكل مستتر. لذا فعلى مجتمع المثقفين العرب أن يبدأوا بتطهير أنفسهم مما التصق بهم في السنوات الماضية، وأن يعودوا إلى لعب أدوارهم الأصلية في نشر الوعي والثقافة والمعرفة، بعد أن استهلكتهم أدوار نمطية خصمت كثيرًا من رصيدهم، وأدت إلى تدهور أحوال مجتمعاتهم.

سوء فهم قديم جدا

عائشة سلطان

العلاقة بين الرجل والمرأة بجميع مستوياتها وتجلياتها في المجتمعات العربية كلها من دون استثناء تعتبر علاقة إشكالية شديدة التعقيد والحساسية، بالرغم مما تبدو عليه في بعض المجتمعات من ميلها للبساطة والمسالمة والتبجيل، أو ميلها الفطري في بعض المجتمعات للمهادنة والتقية.. لا أقصد أن العلاقة بينهما علاقة صراع، لكنها ليست علاقة بسيطة على طول الخط، وليست علاقة خاليةٍ من الاشتباكات والشكوك والتنافس غالبا!

المرأة ليست كائناً ضعيفاً أو مستضعفاً بالمطلق، إلا إذا كنا نتحدث عن التركيب الجسدي في مواجهة بعض العقبات، والرجل ليس سيئاً أو ماكراً كما قد تظن الفتيات من فرط ما تخوفهن أمهاتهن من الرجال، من وجهة نظري، الرجل مخلوق بسيط جداً (هذا لا يعني السذاجة أو عدم الدهاء) وهو مباشر أحياناً وميال للتمويه غالباً (في سلوكه المطلق حين لا يكون مضطراً لاستخدام أسلحته الأخرى) وهو بسبب تركيبته الجسدية، وطبيعة عقله لا يستطيع التعامل مع الأمور بشكلٍ متشابك أو معقد، يفكر في المشكلة تراتبياً ويحلها واحدة تلو الأخرى، يجيب على الأسئلة ابتداء بآخر سؤال، لأنه لا يجهد ذهنه ليتذكر أول سؤال طرح عليه، خاصة حين يطرح عليه أربعة أسئلة دفعة واحدة، لا يحلل ما يراه أو يمر به، ولا يغوص كثيراً في الظواهر والمشاكل، يبسطها ويحلها بسهولة قدر إمكانياته، غير صحيح كل ما يقال عن أنه شديد الصبر والاحتمال، فحالة انفلونزا تجعله طريح الفراش وصداع قليل يجعله يعلن حالة طوارئ في البيت وصراخ طفله الوليد يدفعه لهجر غرفة النوم والإقامة في صالون المنزل، بالمقابل فإن المرأة تسجل تفوقاً قياسياً عليه في كل ما ذكر سابقاً، هذا لا يعني أن الرجل ضعيف، وأن المرأة أقوى منه، لكنه يعني أن مقياس القوة مختلف وطبيعة اختبار القوة مختلف أيضاً، فالحمل والولادة وتربية الطفل أمر لا يقاس بتحمله بأي شيء، لكن المرأة جهزت له تكويناً وعقلاً وتربية!

المرأة، سواء كانت أماً، أو زوجة، أو ابنة أو أختاً أو حبيبة أو صديقة أو زميلة، فهي تقع في علاقتها بالرجل في مطب سوء الفهم، هي لا تفهمه إلا من خلال ذاتها، من خلال متطلباتها، ومن خلال الحالات والتغيرات والضغوط التي تمر بها، والتي من المعلوم أن الرجل لا يمر بها ولا يشبهها فيها.

للرجل طريقة في فهم الأمور والتعامل معها وردات الفعل عليها، وهي تختلف حتماً عن المرأة، لذلك فحتى الرجل يقع في الإشكالية نفسها حين يتعامل مع زوجته وابنته و...، هو يعتقد بأنها تشبهه في احتياجاتها، وهي تعتقد الشيء نفسه، والتربية العربية لا تجهزهما لمواجهة بعضهما ككائنين مستقلين قادمين من كوكبين مختلفين.. نحتاج لإعادة النظر في الأمر لتصحيح مسارات العلاقة المتشابكة منذ أزمنة طويلة!

الإقامة في موزمبيق

معن البياري

لم أصادف، في حياتي، أحداً زار موزمبيق أو أقام فيها، ولم أطالع يوماً عنها كتاباً، ولا حتى مقالةً أو دراسة. وأظنني، في جهلي العتيد بشأن هذا البلد الإفريقي الذي عرفت للتو أن البرتغاليين استعمروه أربعة قرون ونصف (فقط!)، كما أترابي العرب العاملين في الصحافة والثقافة. ومقصد الجهر، هنا، بهذا الأمر، أن يسبق سؤالاً ضغط على خواطري بإلحاح، عن السبب الذي يجعل كاتباً ثريّاً، ينتسبُ إلى بلدٍ متخلف ومتقدم صناعياً، ومن أكثر بلدان العالم في الرِّفاه الاجتماعيّ، يقيم طويلاً في موزمبيق، إحدى أكثر الدول فقراً، والتي أزهقت حربٌ أهلية فيها أرواح مليون من أهلها. يتعلق هذا السؤال بالروائي والمسرحي والقاص والسينمائي، السويدي هنينغ مانكل، ومناسبته استعادة الصحافة، أخيراً، سيرة هذا الكاتب الكبير، بعد وفاته الاثنين الماضي، وهو الذي اشتُهر عربياً بنصرته فلسطين وشعبها، وزيارته غزة مرات، ومشاركته في رحلة سفينة كسر الحصار عن القطاع التي تعرّضت في العام ٢٠١٠ إلى الاعتداء الإسرائيلي الذي قضى فيه تسعة أتراك، وأصيب في أثنائه مانكل. كان يقول إنه يزور غزة المحاصرة ليزاول إنسانيته. وقد وصف إسرائيل بأنها نظام فصل عنصري، وكان يقول، أيضاً، إن عمره هو عمر نكبة فلسطين (مواليد ١٩٤٨).

بيعت أربعون مليون نسخة من روايات مانكل وكتبه ومسرحياته، وهي نحو أربعين، وترجم كثير منها إلى لغات عديدة (نُقلت أربعة منها إلى العربية). وتنتسب معظَم نصوصه إلى الأدب البوليسي. وقد تسنَّت له، في بلاده، أسبابٌ غزيرة من رغد العيش وهناءته، غير أن سموّاً إنسانياً رهيفاً ونادراً، يفيض بالنبل والرفعة، جعله يحدّق كثيراً في مظالم الشعوب، فنشط في مناهضة حرب فيتنام، في شبابه، وفي مناوأة التمييز العنصري في جنوب إفريقيا، والتفت إلى الفلسطينيين، وإلى الأفارقة المنهكين بالتجويع والفقر والأوبئة والصراعات الأهلية، وجال في بعض بلدانهم، غير أنه انجذب، بشكل خاص، إلى موزمبيق، لسببٍ لا أعرفه، فأسس مسرحاً في عاصمتها وأداره، وتبرّع (وزوجته) لأطفال إحدى قراها بمليون ونصف مليون يورو، وصار يوزّع إقامته بين بلده الأوروبي الذي يرفل بالرقي والوداعة وموزمبيق (٢٤ مليون نسمة) التي يمكث أغلب مواطنيها تحت مستوى خط الفقر.

لسنا أمام نموذج أخلاقي تقليدي، ذي نزوع إنسانيٍّ وكفى. كلا، فالتضامن، في عرف هنينغ مانكل، فعلٌ وليس كلاماً. وقد زاول قناعته هذه، في عملٍ منظور، وبمواظبة تُحيّرك من أيِّ معادن البشر كان هذا الكاتب الذي انقطَع للكتابة والإنجاز الإبداعي والفني مقروناً بانخراط ميدانيٍّ في مناهضة العسف في أيّ مطرحٍ كان. لذلك، انسجمت مطالبته بعقوبات دولية على إسرائيل، تماماً، مع نشاطه، في زمن مضًى، منْ أجل إنهاء نظام الفصل العنصري في جنوب إفريقيا. وقد توفي، وهو على قناعته بأن نهاية الاحتلال في فلسطين مؤكدة، كما انتهى ذلك النظام، وبأن مصير الجدار الإسرائيلي في فلسطين سيكون كما مصير جدار برلين. أما موزمبيق فقد رآها بلداً غنيّاً، وأصبحت فقيرةً لأن حرباً مجنونةً اندلعت فيها، بعد أن شجّع العنصريون أهلها على القتال فيما بينهم، لمّا كانوا يزوّدونهم بالسلاح في أثناء حربهم الأهلية التي استمرت نحو عشرين عاماً، وبدا أنها كانت تنتظر رحيل المستعمر البرتغالي، في العام ١٩٧٥، حتى تشتعل.

> بيعت أربعون مليون نسخة من روايات مانكل وكتبه ومسرحياته، وهي نحو أربعين، وترجم كثير منها إلى لغات عديدة منها إلى العربية

تيسّرت بالعربية رواية الكاتب الراحل للفتيان، "سر النار"، عن أحوال موزمبيق التعيسة. بناها من سيرة فتاة موزمبيقية، بترت الألغام ساقيها، وهي التي كانت كثيراً ما تجري في العتمة على غير هدى. وتيسّرت بالعربية مسرحيته "الظباء"، وفيها ناس موزمبيق الذين لا يقدّم لهم الغرب مساعداته لكي يعيشوا، بل ليظلّ الفساد باهظ الحضور في بلدهم، وليبقى سوء التغذية، وكذلك الجهل والديون والأوبئة والفقر... كان هنينغ مانكل هناك، وشاهد هذا كله وغيره، قبل أن تعتم عيناه، ويرحل.

نوبل... والتجربة التونسية

سمير حمدي

ربما كانت الثورة التونسية أحد أكثر التحولات السياسية نجاحاً في المنطقة العربية. ولم يكن لهذا النجاح ليتحقق، لولا عوامل كثيرة، ساهمت في صناعة المشهد السياسي، ومجاوزة جملة من الصعوبات وحالات الارتداد التي عرفها المسار الانتقالي في البلاد.

ما جرى في تونس من خطوات فعلية نحو ترسيخ شكل ديمقراطي للممارسة السياسية في البلاد، فإنه يمكن القول إنه كان صعباً استنساخ النماذج الانقلابية وتعميم الفوضى ونقلها إلى تونس، لعوامل كثيرة، أقلها الخصوصيات التي تميز البنية المجتمعية والهيكل السياسي القائم في كل بلد، والملابسات الداخلية والتجاذبات الإيديولوجية التي تتشكل من خلالها المجتمعات. وكما أكد إيريك هوبزباوم، "لكل ثورة خصوصيتها من حيث الزّمان والمكان، وليس هناك تشابهٌ أو تطابق بين ثورتين". وفي السياق العربي، لكل بلد خصوصيته من التكوين الديمغرافي والطبيعة الجغرافية، وحتى طبيعة المزاج الشعبي، فتونس تختلف، بتركيبتها الديموغرافية وطبيعتها الجغرافية، عن الدول المجاورة، ولها خصوصيتها التي تميّزها عن الآخرين.

وعلى الرغم مما شهدته البلاد من هزات خاصة، إثر عمليات الاغتيال السياسي التي لحقت سياسيين، بالإضافة إلى التجاذب الحاد الذي عرفه الشارع السياسي، والتنازع بين المكونات الحزبية المتناقضة، فقد عرفت البلاد كيف تشق طريقها لتحقيق الأدنى الديمقراطي، بعيداً عن الاحتراب الأهلي ولعبة الفوضى وحرب الكل ضد الكل. ومن العوامل الأكثر أهمية التي ساهمت في تحقيق هذا المنجز، يمكن القول إن الجيش التونسي لعب دوراً مركزياً، إذ لم يكن له أي نزوعات انقلابية، ولم يرغب في لعب دور سلطوي، أو السعي نحو افتكاك الحكم، بل ظل جيشاً مهنياً، يمارس دوره في حماية البلاد من المخاطر، وهو الأمر الذي أفسح المجال للنخبة السياسية لتلعب الدور المركزي في إدارة الصراع السياسي ضمن الحدود السلمية المتاحة.

"المنجز الديمقراطي التونسي ما زال ملهماً ومؤثراً، وتتطلع إليه الشعوب الأخرى، بوصفه التجربة الأكثر نجاحاً، والأقل تعثراً من بين التجارب الثورية في المنطقة"

ومن جهة أخرى، كان لمنظمات المجتمع المدني دور فاعل في المساهمة في المشهد السياسي، وبعيداً عن تقديم صورة ملائكية لهذه المنظمات، فإن طبيعة تركيبتها التي تشمل منتمين من قوى سياسية مختلفة جعلتها أقدر من غيرها للمساهمة في إيجاد مربع للالتقاء بين الفرقاء السياسيين. كان الحوار الوطني الذي عرفته تونس، تحت رعاية رباعي الحوار الوطني، لحظة فارقة في المسار السياسي للبلاد، وساهم في حل تعقيدات سياسية، والدفع نحو إتمام الانتخابات. وقد جنبت هذه الخيارات البلد الوقوع في هزات سياسية عنيفة، فالنموذج التونسي القائم على تأسيس نوع من الديمقراطية التشاركية التي لا تقوم على منطق المغالبة أو الإقصاء حقق نتائج جيدة، على صعيد الممارسة السياسية والتقدم بالبلاد نحو تحقيق نوع من الاستقرار السياسي، ذلك أنه من الأكيد أن الأوضاع الانتقالية لا تدار بفكرة "الأغلبية تحكم والأقلية تعارض"، وإنما بمحاولة إيجاد حد أدنى ديمقراطي مشترك بين الجميع.

> «المنجز الديمقراطي التونسي ما زال ملهماً ومؤثراً، وتتطلع إليه الشعوب الأخرى، بوصفه التجربة الأكثر نجاحاً،

لا يتعلق الأمر هنا بتقديم صورة وردية عن الوضع السياسي في البلاد التونسية التي تعاني، لا ريب، من مشكلات اقتصادية وبعض المشكلات الأمنية ومخاطر الإرهاب، لكنها أيضا تمكّنت من تجاوز أزمات سياسية حادة، خصوصاً بعد اغتيال أمين عام حزب الوطنيين الديمقراطيين الموحد، شكري بلعيد (٦ فبراير/شباط ٢٠١٣)، ثم اغتيال النائب محمد البراهمي (٢٥ يوليو/تموز ٢٠١٣)، وما أفضى إليه كلاهما من احتقان سياسي فعلي (اعتصام الرحيل الذي نفذته أحزاب معارضة وانسحاب نوابها من المجلس التأسيسي يوليو/تموز ٢٠١٣).

وخلافا لحالات عربية أخرى، لم تتحول هذه الأزمات السياسية إلى عنف سياسي أعمى، أو إلى انقلاب عسكري وإنما تم بناء أسس لحوار وطني شامل، جمع القوى الحزبية مع الأطراف الاجتماعية والاقتصادية في البلاد (ممثلين في الاتحاد العام التونسي للشغل، أكبر نقابة عمالية، والاتحاد التونسي للصناعة والتجارة الذي يمثل رجال الأعمال، والرابطة التونسية للدفاع عن حقوق الإنسان، وعمادة المحامين)، ما أفضى الى التوافق لاستكمال الدستور، والانتهاء من القانون الانتخابي، وتشكيل الهيئة العليا المستقلة للانتخابات، والنجاح في إتمام الانتخابات البرلمانية، ثم الرئاسية، وصولا إلى حكومة ائتلاف وطني، وهي خطوات مهمة، نحو مزيد من الاستقرار السياسي، وتدعيم الانتقال الديمقراطي، وتحصين المسار السياسي التونسي إلى الحد الذي يمكن معه القول إن في وسع تونس لعب دور النموذج لباقي الدول العربية في أسلوب إدارة الخلاف وسلمية التعايش ومراعاة التوازنات، من دون أن ننسى، أخيراً، التحلي بالمسؤولية التي أبداها أبرز الفاعلين السياسيين في المشهد السياسي التونسي، وخصوصاً الأحزاب الكبرى.

وعلى الرغم من دعوات، هنا وهناك، إلى الدفع نحو الصراعات والفوضى، يمكن القول، إجمالاً، إن المسار التونسي قد حقق بعض أهدافه، وتأتي جائزة نوبل، بمثابة إقرار بنجاح الخيارات السياسية في تونس، وهي وإن كانت ممنوحة للمنظمات التي ساهمت في رعاية الحوار الوطني، فإنها في الحقيقة تكريم للشعب التونسي، في مجمله الذي أبدى وعياً سياسياً عالياً وحساً مدنياً عظيماً .